

**ميشيل عفلق**

**الديمقراطية والوحدة**

**عنوان المرحلة الجديدة**

كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٨٩ لمناسبة الذكرى الثانية  
والاربعين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي .

يا أبناء امتنا العربية المجيدة

يا أبناء العراق المنتصر

أيها البعثيون المناضلون

تأتي الذكرى الثانية والأربعون لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، حاملة هديتها التاريخية، الى جماهير الامة العربية وأجيال المناضلين وألوف الشهداء، الذين شقوا دروب البطولة وتوجوها بغار النصر.

انه النصر الذي كان بالنسبة الى العدد القليل أمرا محسوما منذ بداية الحرب، ثم اخذ يتأكد شيئا فشيئا، مع صور الصمود البطولي وتوالي الانتصارات، ليشمل العراق بكل فئاته، وليصل الى تلك الاعداد المتزايدة من المناضلين والمثقفين العرب الذين أهلتهم تجاربهم النضالية وثقافتهم الأصيلة وحسهم القومي السليم، لرؤية الجديد المبدع في انتصارات العراق، وفي تجربته الثورية المتميزة بعقلانيته، وروح البطولة المنبثة فيها، وبالفكرة القومية الانسانية الشاملة التي تشكل منطلقها والشعلة الهادية لها في مسيرتها.

هذا النصر أصبح اليوم حقيقة معترفا بها على مستوى العالم كله. أما بالنسبة لجماهير الشعب العربي في كل مكان، فقد دخل في حياتها في الحاضر والمستقبل، كعامل نهضة داخل كل قطر عربي وفي نفس كل مواطن عربي، وكعنصر صمود في مواجهة اعداء الأمة وعدوانهم ومؤامراتهم، وكحافز توحيد بين الاقطار العربية.

ان كلمة نصر، معها تضمنت من معاني الغلبة والتفوق، والشجاعة والبطولة، والدقة والعمق، والاحاطة في النظرة، لا تستطيع ان تلخص

معاني حرب استمرت ثمانى سنوات، وتعد من أشرس الحروب التي عرفها هذا القرن. . . فهي تجربة ثمينة نادرة في حياة العرب الحديثة. وإذا كان العراقيون قد عاشوها يوماً بيوم بكل ما احاط بها من ظروف. . . ودفَعوا ثمنها دماً زكياً وجهداً وصبراً وذكاءً وابتكاراً، فإن أبناء الأمة في الأقطار الأخرى من الوطن الواحد سواء من شارك منهم فيها أم من لم يشارك، مدعوون إلى استلهاها، ودراستها بعمق، ليتعرفوا من خلالها على أنفسهم وحقائق إمكاناتها الثرة، وعلى المستوى الجديد الناهض الذي بلغوه والذي جسده حرب العراق ولخصته. فكما أن النصر العراقي هو نصرهم، فكذلك هذه الحرب هي حربهم، لأن الأمة كانت مستهدفة من خلال تخطيط الأعداء لاجتياح العراق، لذلك كان من الطبيعي أن يشارك فيها مناضلون من مختلف أقطار الوطن العربي، وأن يمتزج دمهم بدم العراقيين دفاعاً عن سلامة الأمة، وعن مستقبل النهضة العربية في أقطارهم وفي الوطن الكبير كله.

### الانتصار العراقي رصيد للأمة العربية

هي حرب العراق وحرب العرب. . . لأن العراق والعرب عرفوا كيف يكشفون المؤامرة الخبيثة ذات الامتدادات الصهيونية والامبريالية الكامنة وراء حرب إيران الخميني، الذي دفعه تعصبه واحلامه التوسعية إلى سلوك طريق العدوان، عوضاً عن الانصراف إلى بناء المجتمع وإسعاد الشعب.

فالحرب العدوانية هي رصيد سلبي في تاريخ البلد الذي يتورط فيها. في حين أن الحرب الدفاعية، الصامدة الظاهرة، هي حق وعدل ومجد يضاف إلى تاريخ الأمة التي قبلت التحدي وتغلبت عليه، وحولته إلى وسيلة من وسائل نهوضها وقوتها.

ان النصر العراقي وليد حالة نهوضية مستقبلية يعيشها العراق منذ ما يربو على العشرين عاما، فهو بطبيعته متجه نحو المستقبل . . المستقبل العربي . . انها حالة بعثية متحدة بامكانات العراق في اقصى مداها، توفرت لها قيادة تاريخية هي وليدة المعاناة النضالية والظروف القاسية التي مرت بها الأمة، تمثلت في الرفيق العزيز صدام حسين الذي استطاع بما يمتلكه من وعي وطني وقومي أصيل، ومن فكر نير يستوعب معطيات العصر ومتطلباته، ان يفجر الطاقات العراقية الفذة، ويوجهها لبناء نهضة شاملة في مختلف نواحي الحياة، وفق نظرة حضارية متفتحة، اخذت كل ابعادها، وبرهنت على تفوقها الحاسم في مواجهة العدوان الذي مثل نقيضها.

لقد قدم الرفيق صدام حسين من خلال مسيرة النهوض في العراق، ومن خلال قيادته المقتدرة الظاهرة للحرب، وما زال يقدم في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمة، أنموذجا للعقل العربي الحديث المستوعب للعلم وتطبيقاته العملية، وللنواحي الروحية والانسانية التي تكمل الشخصية الحضارية الجديدة للإنسان العربي، كما يقدم أنموذجا للتعامل المبدئي مع الأهداف، والتطبيق المبدع لها، وللقدرة على استخلاص دروس التجارب النضالية الحزبية والقومية لبناء التجربة المتفوقة، وأنموذجا للعلاقة الصميمية بين القائد والشعب، وللانتفاء العميق الى الأمة وتاريخها، متسلحا بارادة نادرة لا يمتلكها الا القادة التاريخيون.

ان هذا النصر، على ما فيه من عظمة وروعة لن يكون آخر ما يستطيعه شعب العراق، وتزخر به اعماق الأمة العربية من قدرات ومفاجآت . فالحالة التي يعيشها العراق هي أبعد ما تكون عن القطرية، لأنها تجربة بعثية، بفكر قومي، وبروح قومية، ولأن الأمة في حالة التجزئة لا بد ان تتمثل، بين حين وآخر، في قطر يكون مستجمعا لعدد

ان النصر العراقي وليد حالة نهوضية مستقبلية يعيشها العراق منذ ما يربو على العشرين عاما، فهو بطبيعته متجه نحو المستقبل . . المستقبل العربي . . انها حالة بعثية متحدة بامكانات العراق في اقصى مداها، توفرت لها قيادة تاريخية هي وليدة المعاناة النضالية والظروف القاسية التي مرت بها الأمة، تمثلت في الرفيق العزيز صدام حسين الذي استطاع بما يمتلكه من وعي وطني وقومي أصيل، ومن فكر نير يستوعب معطيات العصر ومتطلباته، ان يفجر الطاقات العراقية الفذة، ويوجهها لبناء نهضة شاملة في مختلف نواحي الحياة، وفق نظرة حضارية متفتحة، اخذت كل ابعادها، وبرهنت على تفوقها الحاسم في مواجهة العدوان الذي مثل نقيضها.

لقد قدم الرفيق صدام حسين من خلال مسيرة النهوض في العراق، ومن خلال قيادته المقتدرة الظاهرة للحرب، وما زال يقدم في هذه المرحلة الدقيقة من حياة الأمة، أنموذجا للعقل العربي الحديث المستوعب للعلم وتطبيقاته العملية، وللنواحي الروحية والانسانية التي تكمل الشخصية الحضارية الجديدة للإنسان العربي، كما يقدم أنموذجا للتعامل المبدئي مع الأهداف، والتطبيق المبدع لها، وللقدرة على استخلاص دروس التجارب النضالية الحزبية والقومية لبناء التجربة المتفوقة، وأنموذجا للعلاقة الصميمية بين القائد والشعب، وللانتفاء العميق الى الأمة وتاريخها، متسلحا بارادة نادرة لا يمتلكها الا القادة التاريخيون .

ان هذا النصر، على ما فيه من عظمة وروعة لن يكون آخر ما يستطيعه شعب العراق، وتزخر به اعماق الأمة العربية من قدرات ومفاجآت . فالحالة التي يعيشها العراق هي أبعد ما تكون عن القطرية، لأنها تجربة بعثية، بفكر قومي، وبروح قومية، ولأن الأمة في حالة التجزئة لا بد ان تتمثل، بين حين وآخر، في قطر يكون مستجمعا لعدد

من الشروط الجوهرية الضرورية، لكي تجد فيه الأمة مجالاً للتعبير عن روح النهوض فيها.

فالنصر العراقي حالة متفاعلة مع الحالة العربية العامة، وليست خارج القدرة العربية، بل هي التعبير الأعمق والأصدق عنها. وهي قابلة للتعميم والانتشار. بل ان هذا هو قانونها وقدرها وضمانتها ضد محاولات التآمر، كما هو ضمانة لنهضة الأمة.

وقد تحقق للعراق خلال الحرب شيء اساسي ونادر في الواقع الراهن للأقطار العربية، هو هذا الحد العالي من التجانس والتطابق بين ما هو عراقي وما هو عربي، بين ما هو عراقي عربي وما هو اسلامي، كل هذا بالانسجام مع روح العصر. أي مع ما هو انساني.

كما تحقق لتجربة العراق الثورية شيء ثمين، بأن تتمكن رغم ظروف الحرب من تطوير المشاركة الشعبية الديمقراطية، وان يأخذ الالتفاف الشعبي الواعي المتصاعد حول قيادتها بعدا نضاليا عميقا. وجاء النصر ليفتح للممارسة الديمقراطية آفاقا واسعة لتطويرها واغنائها واستكمال مؤسساتها.

ان نصر العراق نصر للفكر القومي، فكر النهضة العربية، الفكر الحضاري المتشبع بروح الاسلام، والمنفتح على حضارة العصر، والمؤمن بالعلم والتقدم، لأن المعركة كانت فكرية بقدر ما كانت عسكرية، بل انها الحرب الاولى الجدية التي يخوضها العرب تحت لواء الفكر ويدافعون فيها، بانهار من الدماء الزكية عن خيارات فكرية وحضارية اساسية لوجودهم ومستقبلهم كأمة.

ان عناصر الخير والصحة وقوى المستقبل في الأمة تدرك ذلك، وتدرك ان حماية النصر العراقي موكلة اليها، بأن يدخل هذا النصر في وعي الجماهير العربية على امتداد الوطن الكبير، بكل العوامل الأساسية التي

جعلته ممكنا، بل محتوما، وبكل أبعاده التحررية والتقدمية والوحدوية، حتى تتهيأ عوامل الانطلاق والأقتدار للأمة بكاملها. فالانتصار العراقي، هو منعة وقدرة للعراق العربي، وهو رصيد للأمة العربية فيه قوة وقدوة لها في حاضرها ومستقبلها، في صراعها مع اعدائها الرئيسيين: الامبريالية والكيان الصهيوني، وفيه ردع للأعداء المحتملين مثل ايران التي جعل منها الضعف العربي عدوا. . وقد تجعل منها الوحدة العربية جارا صديقا وحليفا.

### يا أبناء شعبنا العربي

اثنتان واربعون سنة، انقضت على تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي، وهو ما يزال يستلهم البداية البسيطة والقوية التي انطلق منها، ويستخلص دروس المسيرة الطويلة من النضال على طريق تحقيق اهداف الأمة، التي بلورتها عقيدة البعث.

فحزب البعث، ليس فكرا حسب، انه فكر ونضال ومعاناة. . أي انه تجربة صادقة متطورة، مندمجة في المصير العربي، هدفها الأبعد والاعلى هو الوحدة العربية، بمضمونها الشعبي التحرري التقدمي الديمقراطي. . لذلك فهي رغم تطورها المستمر، تشعر في حالة التجزئة العربية، انها تجربة غير مكتملة.

حزب البعث، ليس فكرا حسب، انه روح وجو ومستوى. . وخيارات البعث الفكرية، وان تكن قد استدعتها ظروف المرحلة، فانها وضعت بالمقاييس التاريخية لا الظرفية، وعلى ضوء قيم التراث الخالد، ومفاهيم الحضارة العالمية المعاصرة. .

ففي أول توجه له نحو شباب الأمة وجماهيرها الشعبية، اعلن البعث ايمانه بالاشتراكية العربية مقابل الاشتراكية الاممية، اعلن ايمانه بالاسلام الثوري العربي الانساني في وجه الجمود. هاجم التقليد والتبعية الثقافية



لاوربا، واعلن ايمانه بالحرية والتقدم، وبالعلم والتحرر. . وفضح خدع الفكر الشعبي الذي يخفي احقاده التاريخية على العرب وزاء شعارات التحرر والثورة، واعلن تصميمه على ان تكون النهضة العربية اصيلة، جذرية، انسانية، لا أثر فيها للتعصب والعنصرية والطائفية، ولكل ما يحط من كرامة الانسان، ويعوق انطلاق مواهبه. . كان من اوائل الذين نادوا في العالم بالحياد الايجابي وعدم الأنحياز. . فعبر بذلك عن نظرة مستقبلية.

### البعث ونهضة الامة

واذا كان البعثيون اليوم، يشعرون، كما كانوا يشعرون خلال عشرات السنين الماضية انهم غير مفاجئين بالتطورات الفكرية التي تحدث على المستوى العالمي أو على المستوى الاقليمي، فلأن البعث، بمنطلقه المتجرد، قد فكر واجتهد في ما يصلح اساسا لنهضة الامة، لمستقبل مديد، رغم ايمانه العميق بالتطور والتجدد، ورغم استعداده للتجاوب مع الحاجات والتطورات المستجدة.

أليس ما يجري الآن، من تطورات مفاجئة في البلدان الاشتراكية والتي تؤكد على العلاقة بين الاشتراكية والديمقراطية والأبعاد الحضارية والروحية والقومية كان البعث قد تعرض له منذ البداية وخلال مسيرته الطويلة، وتمناه ونوقعه!

أليس الايمان بقدره الاسلام المتجددة على التأثير الروحي والحضاري في مصير الانسانية، من القناعات الاساسية للبعث سواء أكان ما يتعلق منها بالاسلام كدين وحضارة للعرب، وبمكانة الاسلام في النهضة العربية، أو ما كان متعلقا بأبعاده العالمية، وعلاقة الشعوب الاسلامية بالامة العربية؟ ان اقتران بداية الحزب برؤية عميقة الى الاسلام كان من

اهم العوامل التي اعطت البعث ذلك البعد التاريخي الحضاري الذي  
ميزه، وكانت وراء صموده وتجده واستمراره واستقراره .

ولا يعود مستغربا ان يكون البعث في بداية الاربعينات ، اول من نقد  
العلمانية المستوردة من الغرب، وألح على الصلة العضوية المصرية بين  
العروبة والاسلام دون تفريط بالمحتوى التحرري والتقدمي لمفهوم الثورة  
العربية . . ذلك ان البعث نبع من فكرة حية اصيلة صادقة، تهتدي بسير  
ونفاذ الى الامور الجوهرية والمصرية، وتجعله دوما في حالة اعادة بناء،  
فلم يسجن نفسه في قوالب نظرية وعقائدية، وكان طوال مسيرته يستلهم  
الحرية .

ولان نظرة البعث كانت نظرة حية، فلم تحجب عنها عروبة الاسلام  
صفته العالمية، وانه دين يتوجه لكل البشر. لذلك كانت للشعوب  
الاسلامية مكانة في تفكير الحزب منذ بدايته. ولكن الحزب كان ايضا  
ومنذ بدايته، واضحا وحاسما في موضوع قومية الامة، وانها الاساس  
والشرط الضروري لفهم علاقة الاسلام بالعروبة، وعلاقة العرب  
بالشعوب الاسلامية. فوحدة العرب كانت المقدمة الضرورية لتوحيد  
الشعوب التي دخلت في الاسلام، ووحدهم الان تفسح المجال واسعا  
لتعميق الروابط الوجدانية بين الشعوب الاسلامية.

### أيها المناضلون العرب

ان البعث، قبل أن يولد كحزب، نشأ وترعرع في جو وطني خالص،  
وقد طبعت هذه النشأة مسيرته النضالية، فلم يعرف المهادنة ولا المساومة  
مع اعداء الوطن والامة . . وهو من قبل ان يعلن عن تأسيسه، ومنذ  
حركة نصره العراق عام ١٩٤١ يؤكد الايمان بالوحدة العربية، لأنه نشأ  
على حب العروبة، فكان عربيا في الفكر والتصوير والممارسة، واعتبر ان  
تحقيق اول خطوة وحدوية بين سورية ومصر، كان اكبر انجاز له،

وحارب الانفصال بكل ما أوتي من قوة، وأخرج من صفوفه الذين هادنوه وتعاونوا معه، ولم يقبل البعث، قبل مؤامرة ٢٣ شباط ١٩٦٦، المساومة مع المغامرين الطائفيين، وآثر ان يخسر السلطة في سورية على ان يخسر نفسه ومبادئه وهويته التاريخية، وان تثلم الثقة القائمة بين البعث وبين جماهير الأمة العربية، فعمل مع مناضليه في العراق بعد ان استردوا السلطة الثورية على ازالة الالتباسات الناجمة عن فترة الحكم في سورية، والتشويهات التي لحقتها بصورة الحزب، بابرار قوميته وعروبته وصلته الحية بالتراث الخالد، وحبه للشعب، وتحقيق ما يصبو اليه من نهضة وبطولة.

## المشروع القومي والتصور الحضاري

فمن خلال العراق ونهضته وصموده وانتصاره العظيم، عبر البعث مرة اخرى، في فترة من ادق الفترات التي مرت على الامة العربية واطرها، في العقدين الاخيرين، عن مشروعه القومي وعن تصوره الحضاري، حيث تأتلف العروبة الاصيلة وتتحد مع الاسلام السامح، ومع التقدم وروح العصر، من اجل حركة نهوض شامل وعميق، تحرر الانسان العربي في عقله ومواهبه وشخصيته كلها، وتطلق طاقات الشعب العربي في جميع اقطاره وتدفعه في طريق الوحدة والتقدم والابداع.

أيها المناضلون العرب

أيها الرفاق البعثيون

كان هم البعث منذ البداية، ان يمثل التجرد القومي في نضاله، وان يرتفع فوق عوامل التجزئة، وان يتجاوز الوسط الذي خرج منه ونشأ فيه، لكي يمثل الحاجات الاساسية للامة، بالرغم من انه نشأ في قطر

معين من اقطار المشرق هو سورية العربية، فإنه كان يدرك انه نتاج  
الامة. لذلك كان حريصا على التفاعل مع قضايا الوطن الكبير، ومنتبها  
الى ضرورة انضاج صيغة وحدوية في الفكر والنضال. . صيغة مبدئية  
حرة ومرنة تستوعب كل ما هو ايجابي في خصوصيات اقطار الوطن  
العربي، وتسمح بالتفاعل فيما بينها، وتدفع بعوامل التطور فيها، وتكون  
مفتوحة على المستقبل بلا حدود.

كان الحزب منذ نشأته يملك الطموح لان يمثل الامة، وان يمثل  
القومية العربية بكل تجرد، لا ينحاز الى قطر ولا يرجح قطرا على آخر،  
الا ضمن المقاييس القومية التي تقرر بان الانحياز لا يكون الا للنضال.  
فعندما يكون النضال مستعرا في قطر، فهذه هي الامة، وهذا ما يستحق  
ان تنحاز اليه.

ومنذ بدايته، راهن البعث على عمق الاتجاه الوحدوي عند العرب  
في جميع اقطارهم، وعلى كون هذا التوجه يشكل ابرز سمات المرحلة  
التاريخية. فكان يتطلع بضميره وعقله الى ثلاث جهات في الوطن  
الكبير، يعتبرها اساسية بالنسبة للمستقبل العربي: الى دور العراق  
القومي، والى دور مصر النهضوي، والى اهمية اقطار المغرب العربي.  
كان للعراق منذ عشرينات هذا القرن، الريادة في التوجه القومي  
والتطلع الى حمل رسالة الوحدة. وكانت مصر منذ اواسط القرن الماضي  
تحمل مشعل النهضة والتجدد والفكر والثقافة. وكانت اقطار المغرب  
العربي تتمخض عن الثورات التحريرية تحت راية العروبة الاسلامية.  
في الاربعينات، قبل نهاية الحرب العالمية الثانية، عبأ البعث  
الجماهير ضد فظائع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، ودعا الى دعم حركات  
التحرير في اقطار المغرب العربي كافة، وفي الخمسينات رفع شعار  
الوحدة مع مصر قبل عامين من قيام دولة الوحدة، ولم يكن يرى في ذلك

تناقضا مع دعوته في الاربعينات الى اتحاد سورية والعراق . اذ ان البعث كان يعتبر ان مصر، وهي القطر الاكبر والاسبق الى النهضة الحديثة، ماتزال بحاجة الى المزيد من التفاعل القومي .

فوحدة سورية مع مصر هي بالدرجة الاولى من اجل هذا التفاعل الحيوي . والشئ الذي تحقق لمصر في هذا المجال، في الثلاثين سنة الاخيرة، انما هو تقدم اساسي نوعي ، سيكون له اثره الحاسم على القضية القومية كلها . . لذلك، عندما استجاب الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر الى نداء الوحدة الذي اطلقه البعث في ١٧ نيسان ١٩٥٦ ، جند البعث كل امكانياته، وقاد سورية على طريق تحقيق وحدة ١٩٥٨ مع مصر، وعندما وضع امام خيار حل الحزب في دولة الوحدة، او لا وحدة، اختار الوحدة لانه كان يخشى اضاءة الفرصة التاريخية التي سنحت، رغم مايعنيه ذلك بالنسبة له، وهو الشريك في صنعها، ورغم ماكان يدركه وما اثبتته التجربة من ان التناقض بين الحزب والوحدة كان توهما لااساس له . وان وجود الحزب هو من اهم ضمانات استمرار الوحدة وتطويرها وتعميمها .

## الوحدة بنت النصر

### ياأبناء امتنا المجيدة

الوحدة هي بنت النصر . وقد كانت وحدة سورية ومصر عام ١٩٥٨ ثمرة انتصار مصر الثورة، قبل ذلك بعامين، في معركة تاميم القناة، وفي صد العدوان الثلاثي . كما كانت ثمرة انتصار حزب البعث على ديكتاتورية الشيشكلي، قبل قيام الوحدة بربع سنوات، وانتقاله الى مركز قيادة الحركة الشعبية في سورية، والمساهمة الفعالة في قيادة حركة النضال الوطني والقومي المتضامنة مع ثورة عبد الناصر والمتفاعلة معها

في العديد من الاقطار الاخرى . وقد سارت سورية كلها وراء حزب البعث في تلك المواقف حتى اثمرت الوحدة . . فتحقيق اول وحدة تجاوزت العوامل الجغرافية ، وكانت برهانا عمليا على واقعية النطاعات الوحدوية ، اخذ في منظور البعث معنى الفرصة التاريخية ، لان تبدأ الخطوة الاولى للدخول في عصر الوحدة .

### يا أبناء امتنا العربية المجيدة

ان الاصل والاساس في العمل الوحدوي ، في فكر البعث ، هو النضال الجماهيري والتحرك الشعبي . . هذا هو المبدأ ، وهو القانون الذي اثبتته تجارب السنوات الثلاثين الاخيرة ، والدروس المستنبطة منها ، بأن الضمانة لاستمرار الوحدة ونموها هي حركة الجماهير الشعبية . غير ان هذا لا يتعارض مع اية خطوات وحدوية على الصعيد الرسمي ، اذا توفرت لها بعض الظروف والصفات الايجابية التي تجعلها قادرة على تفهم تطلعات الجماهير ورغباتها وحاجاتها وقادرة ، ايضا ، على ان تتجاوب معها في حدود ظروفها وامكاناتها .

وفي هذا الاطار يهمننا ان نقرر حقيقة اولى حول مجلس التعاون العربي ، وهي انه ابن النصر الذي حققه العراق ، والذي جاء ثمرة التفاعل بين الاقطار التي تجاوبت مع المعركة وشاركت فيها . فهذه المشاركة ، وهذا التجاوب يشكلان اساسا معنويا للقاء والتعاون ، وقاعدة شعبية في الوقت نفسه . ذلك ان مشاركة هذه الاقطار للعراق اثناء الحرب ، لم تكن مقتصرة على الانظمة ، بل تعدتها الى قطاعات واسعة من الجماهير .

اما اتحاد اقطار المغرب العربي فانه يلتقي مع تطلع شعبي قديم لجماهير هذه الاقطار نحو وحدة المغرب العربي وتعزيز عوامل التقارب مع اقطار المشرق والتفاعل معها ، باتجاه الوحدة العربية الشاملة . ان

التفاعل على المستويين الشعبي والرسمي ، هو الذي ينضج العملية التاريخية للوحدة العربية من جهة ، ويشكل الضمانة الرئيسية لابعاد الخطوات الوحدوية في هذا الجزء من الوطن العربي او ذاك ، عن احتمالات العزلة والضيق ، من جهة ثانية .

ان مصداقية هذه الخطوات الوحدوية ، تكون في الانفتاح على الجماهير . فالانظمة التي امتلكت القدرة على اتخاذ مبادرات على هذا المستوى ، يفترض فيها ، ايضا ، الشجاعة في تطبيق الديمقراطية ، ودعم الخطوات الرسمية الفنية بالوعي القومي والاجتماعي الذي هو ثمرة المشاركة الجماهيرية . فالمشكلات التي قد تنشأ من عدم اكتمال الشروط لممارسة الديمقراطية ، او عن الخلل في ممارستها ، يقابلها اضعاف اضعافها من الخير والعطاء والخلق والابداع واكتساب الفضائل ، التي لا تفتح ولا تأخذ مدياتها الا في جو الحرية .

ان الصيغ التعاونية التي قامت في الوطن العربي مطالبة ايضا ان تبرهن باستمرار عن انفتاحها بعضها على بعض ، وان تؤكد حرصها على الوصول الى الهدف الاساسي الذي هو الوحدة الشاملة وليس الوحدات الجزئية . فعدم انفتاحها بعضها على بعض ثقافيا ، واقتصاديا ، وسياسيا سيكون عقبة في طريق الوحدة ، حيث تنشأ المصالح والعادات وتعمق الاقليمية ، ويصبح من العسير التغلب عليها .

### الديمقراطية عملية انقاذ للامة

#### يا أبناء شعبنا العربي الأبي

ان عنوان المرحلة التاريخية التي تبدأ الآن هو: الديمقراطية والوحدة ، واعتبار الديمقراطية عملية انقاذ للامة كما هي الوحدة . فالديمقراطية هي الحقيقة الاولى التي تطرح نفسها اليوم طرحا حيا

تتلازم فيه الابعاد الفكرية والنضالية والسياسية والاجتماعية، ، فهي حاجة انقاذ امام ماأصاب هذه الأمة في العقود الاخيرة من تداع وترد وهبوط وانقسام وضياع، اوصلها الى نوع من الشلل وضع الجماهير في حالة المتفرج على النكسات والهزائم، وشجع الاعداء على التطاول والعدوان. انها فترة قاسية من حياة الأمة، وكاشفة لما خلفه غياب الديمقراطية من آثار مدمرة في بنيان العمل القومي .

ان الطروحات الفكرية حول الديمقراطية، على اهميتها، ومهما كانت قيمتها تبقى مجردة اذا لم تلامس حقيقة ماتمثله الديمقراطية في المرحلة المقبلة من عودة للروح التي غابت عن الأمة، عندما غيبت الجماهير .

والحقيقة الثانية مرتبطة بالاولى ومستنبطة منها وهي : ان القضية القومية أصعب واكثر تعقيدا من ان يستطيع تيار واحد، أو حزب واحد، ان يفي بحاجاتها وان يقوم بحلها أو يستوعبها . فاذن، هي بحاجة الى جهود الجميع، والى آراء ووجهات نظر مختلفة تتكامل ويصحح بعضها بعضا . .

والحقيقة الثالثة تتلخص في أن الديمقراطية عندما تصبح حقيقة واقعة في الحياة العربية، تكون المصدر لشرعية جديدة تأتي من حصيلة الحوار والنضال والاختبار العملي النضالي، ومدى التجاوب مع اماني الشعب وارادة الجماهير، ومدى تمثل هذه الحركات لتطلع الجماهير الى النهضة والتقدم والدخول الحاسم في حياة العصر . . لان الشرعية التي تقدمها الديمقراطية لا تكتمل الا بالتوجه نحو العدالة الاجتماعية ونحو تحرير الطاقات الجماهيرية من ضغط الحاجات اليومية . فكما ان الديمقراطية والوحدة تشكلان حالة انقاذ، فان الاشتراكية تشكل بدورها الضمانة الاساسية لحيوية هذين الهدفين ولربطهما بمصلحة العدد الاكبر.

تلك هي الحقائق الاولية التي تطرح نفسها . واذا كانت الديمقراطية



مطلوبة كعلاج لحالة سلبية مزمنة اصابته الجسد العربي، والحركة الشعبية، فانها مطلوبة ايضا لتعميق حالة الاستنفار وتكثيف الوعي بالاطار المحيطة والامراض الداخلية. فالمطلوب من المرحلة الجديدة، يتلخص في أمرين أساسيين :-

- عودة تاريخية للحركة الشعبية العربية بوزن يكسبون في مستوى الاخطار ووسائل الاعداء.

- وتغيير للعقلية والنظرة الى الجماهير والى المواطنين، والى حقوق الانسان، تغييرا أساسيا مستندا الى المنطق الحضاري الانساني للنهضة العربية.

ان العودة الى الديمقراطية بعد غياب طويل، عملية صعبة وتحتاج الى جهود جميع المفكرين والقيادات الوطنية، والى حصيلة تجاربهم الناضجة من أجل رعاية هذه العودة، ومن اجل ان تجتاز خطواتها الصعبة ومراحلها الضرورية.

يا أبناء امتنا العربية المجيدة

اننا نقف اليوم امام حالة نهوضية متقدمة تبشر بالانتقال الى مرحلة تاريخية جديدة تتسم بالنضج والاقدام وروح المبادرة، وبعودة الجماهير العربية الى ساحة العمل القومي لصنع الاحداث واستئناف النضال الوحدوي.

هذه الحالة، ماكان ممكنا ان نصل اليها لولا النصر العراقي . . ولولا الانتفاضة الفلسطينية، ان الانتفاضة الرائعة التي يخوضها شعبنا الفلسطيني البطل بكل فئاته، وفي مقدمتهم الاطفال، منذ سنة ونصف السنة في مواجهة السلطات الصهيونية الغاصبة لوطنه وارضه، وضعت القضية الفلسطينية في موضعها الصحيح على الطريق السليم، وفضحت، امام العالم، الأسس العدوانية الاغتصابية التي قام عليها

الكيان الصهيوني ، والتي دعمها الغرب الاستعماري وحماها بكل وسائله  
واسلحته .

فاستلام الاطفال والشباب لقضية فلسطين ، دليل قاطع على ان  
نضال هذا الشعب لا يحده زمن ، وانه مفتوح الافاق حتى يؤتي ثماره  
بتحرير فلسطين ، لأن الاجيال الشابة متجددة باستمرار . ومن معاني  
ذلك ، ان اصحاب الارض الحقيقيين . . اصحاب البلاد ، عندهم من  
القدرة على الصمود والنضال ، ولأن يحاربوا بأبسط الاسلحة والأدوات  
الى امد غير محدود حتى يرضخ العدو الغاصب الدخيل ، فيرحل عن  
وطنهم .

### الانتفاضة والنضال الفلسطيني

لقد جمعت الانتفاضة مقومين اساسيين للنضال الفلسطيني : المقوم  
الوطني المبني على الارتباط بالارض ، وبتاريخ النضال الفلسطيني .  
والمقوم العربي الذي يعبر عن الانتماء القومي ، وعن مكان قضية فلسطين  
في حركة الوحدة العربية في مرحلة النهضة . فهؤلاء الاطفال والفتية  
حملوا الراية عن آبائهم ، بشعور مؤمن وواثق بأن الامة حاضرة في  
نضالهم ، وفي تطلعهم للمستقبل ، وبانهم يقاتلون ويصمدون بقوة الامة  
العربية كلها ، وبأن النضال المفتوح وغير المحدود الذي يخوضونه ، انها  
هو جزء من النضال العربي على طريق الوحدة والنهضة .

ان الكاشف الاساسي لحقيقة الاوضاع العربية ، والمعيار الذي يقف  
على رأس المعايير الوطنية والقومية والديمقراطية في الوطن العربي الان ،  
هو التجاوب مع الانتفاضة في الارض المحتلة ، وتقديم الدعم الحقيقي  
لها ، وان تكون هي المادة اليومية لنضال الجماهير العربية ، وللتعبير عن  
مدى تقدمها لاسترداد زمام مصيرها وحققها في المشاركة في توجيه سياسة

وطنها وامتها، لان هذا هو الجو الذي يحمي الانتفاضة ويعمقها.  
ان قضية فلسطين تمر الآن في مرحلة بالغة الدقة والاهمية، وان حزب  
البعث الذي وضع دوماً تحرير فلسطين هدفاً ثابتاً ومركزياً له، يحرص  
على تأكيد تمسكه بقضية التحرير الكامل لفلسطين، ويعتبر ان أي  
موقف جدي ومسؤول منها، لابد أن يأخذ بعين الاعتبار معيارين  
رئيسيين:-

- استعداد شعب فلسطين للنضال حتى التحرير.  
- واستعداد الأمة العربية الدائم لجعل قضية فلسطين قضيتها المركزية  
في نضالها على طريق الوحدة والنهضة.

## الاضاع القومية والعمل المستقبلي

أيها الرفاق البعثيون

يا أبناء شعبنا العربي

في هذا الوقت الذي تستقبل فيه الأمة، بشيء كثير من الاستبشار  
والعزم المتجدد، مرحلة جديدة، موسومة بالنهوض، وبارادة تحقيق  
خطوات عملية، على طريق الوحدة القومية، يحز في نفس كل عربي  
مخلص ان يرى سورية، هذا القطر العربي الرائد في النضال القومي،  
والعمل الوجدوي، بعيدة عن اي دور أو اية مشاركة في العمل العربي،  
بل ان النظام الحاكم قد فرض عليها دوراً مضاداً لكل تاريخها الوطني،  
ولريادتها الوجدوية.

فماذا يقول اولئك الذين مايزالون يقفون من هذا الوضع الشاذ،  
الذي تعيشه سورية منذ اكثر من عشرين سنة، موقف المتفرج، واولئك  
الذين مايزالون يتعاملون مع النظام المتسلط عليها، بمنطق الحسابات

السياسية، وبخاصة اولئك المثقفون والسياسيون الذين يفترض بأن يزنوا مواقفهم في ضوء المصلحة القومية. . ماذا يقول هؤلاء جميعا لشعب سورية، الذي تعرض خلال هذه السنوات الطويلة للقمع والافكار والمجازر. . وماذا يقولون لآلوف المعتقلين في سجون هذا النظام، الذي اوصل سورية الى حد أبعد فيه جيشها وابعدت فيه جماهيرها عن معركة تحرير ارضها الوطنية، ووضع موقعها الجغرافي السياسي في خدمة العدوان الذي استهدف الامة كلها من خلال استهداف العراق، واستهدف مصير القومية العربية التي يتستر النظام السوري بشعاراتها؟ وماذا يقولون لسكان المخيمات الفلسطينية، ولابناء شعب لبنان، الذين امعن هذا النظام فيهم تقتيلا وتدميرا. . ؟ بعد ان فتت طاقات سورية واستخف بتاريخها وبقيمها الوطنية وتقاليد النضالية وعطل دورها الطبيعي في العمل القومي.

ان هذه الممارسات الشاذة، وتلك المواقف التي لاتقل شذوذا، هي نتاج مرحلة سلبية لا بد ان تنتهي. . مرحلة، اوصلت ابناء قطر عريق في النضال كسورية الى الوقوف مكبلين مكتوفي الايدي امام محنة بلدهم التي تشكل ابرز صورة لما اصاب الجسد العربي من شلل جراء اغتيال الديمقراطية وروح النهضة.

فلا بد للعرب وهم يفتتحون هذه المرحلة الايجابية الجديدة التي تستلهم روح الصمود في الامة وروح النهضة والوحدة، ان يقفوا الى جانب سورية لكي تعود الى دورها الطبيعي في مسيرة النهضة القومية، والعمل القومي المستقبلي.

أيها الرفاق البعثيون

أيها المواطنين العرب في كل مكان

ومما يعزز حالة النهوض التي نشهدها، عودة مصر الى القيام بدورها

العربي، رغم المؤامرات التي تستهدف هذا الدور لتثويبه وتعطيله . .  
فالاهتمام بمصر وبدورها القومي، وبامكاناتها المستقبلية، كان وسيبقى  
من أهم خيارات البعث، والمعبر عن تصوره الحضاري للوحدة العربية  
ومستقبل نهضة الامة. ولقد كنا دوما نعيش مع شعب مصر معاناته  
ونراهن على وطنيته العريقة، وعروبته الصادقة، وعلى الرصيد الثقافي  
والحضاري والنضالي الكبير الذي تملكه مصر.

ان عروبة مصر وارثباطها المصري بتاريخ الامة ومستقبلها هي  
حقيقة كبرى من حقائق هذا العصر، ومن حقائق النهضة العربية،  
يدركها العرب خارج مصر، في مشرق وطنهم ومغربهم، منذ انتشار الوعي  
العربي في بدايات هذا القرن، وهم يتطلعون الى اليوم الذي يسهم فيه  
الوعي القومي الوحدوي في مصر، بالتفاعل والمشاركة المصرية مع باقي  
اجزاء الوطن العربي، في انضاج المستوى الجديد الذي تتطلبه المرحلة  
القادمة للعمل القومي.

يا أبناء امتنا العربية

ان للمغرب العربي أهمية كبرى في حياة العرب وحضارتهم ونضالهم  
الطويل، وهذه الأهمية كانت دوما موضع اهتمام البعث، لانه ينظر  
لاقطار المغرب العربي باعتبارها جزءا مهما واصيلا في كيان الامة حاول  
المستعمر دوما ان يقيم حاجزا بينه وبين المشرق العربي. وكان الحزب  
يحمل الاعجاب الكبير للمزايا التي تجلت في نضال اقطار المغرب  
العربي خلال مواجهتها الضارية للتحدي الاستعماري الغربي، وكان  
منتبها الى خصوصية هذا النضال الذي واجه نموذجا خاصا من  
الاحتلال الاجنبي، استهدف جوهر الشخصية الوطنية والقومية،  
فكانت المواجهة حضارية بين استعمار استيطاني حاول ان يسلب الجوهر  
الروحي لاقطار المغرب، وبين شعب استمد من القوة الروحية التي

منحته اياها شخصيته الاسلامية، سرّ نجاحه في كفاحه و صموده التاريخي امام هذا النوع من السلطة الاستعمارية الغازية . . فهي خصوصية تنطوي على اصالة وايجابية يأتي الاسلام وتطابقه التام مع العروبة، كأظهر حالة فيها وهي التي طبعت حياة المغرب العربي في صراعه الطويل ضد الاستعمار، وفي مقاومته لاثر الثقافة الاستعمارية، الذي استمر بعد انتهاء الغزو العسكري والسياسي.

ان المفكرين العرب في جناحي الوطن الكبير مطالبون بأن يستوعبوا الخصوصيات المتعددة فيه وان يكون الانفتاح والتفاعل المتبادل وسيلة لبلورة الصيغة الحضارية للتكامل القومي ووحدة الامة . .

### ياأبناء الامة العربية

وفي اجواء هذه الحالة النهوضية ، وكأحد تعبيراتها، استطاعت القوى الوطنية والقومية الحية في السودان ، ان تفجر انتفاضة شعبية في نيسان ١٩٨٥ ضد الديكتاتورية موكدة بذلك دور هذا القطر العزيز في تلبية الضرورة التاريخية للديمقراطية كحاجة تقدمية ووحودية في هذه المرحلة من الحياة العربية، ودوره في الاسهام في تقدم افريقيا والعالم الاسلامي .  
والسودان بتاريخه ووعيه السياسي المعاصر، جدير بان يتطلع اليه العرب في كل مكان ليقوم بدور مميز في ظل نظام ديمقراطي تتأمن فعاليته واثّاعه بافساح المجال فيه للقوى الاجتماعية والسياسية الحية حتى ينتهي التناقض المصطنع بين الممارسة الديمقراطية وفرص التطور والتغيير لمصلحة الجماهير. فقد استطاعت شرعية الارادة الشعبية الممثلة في الاحزاب والنقابات أن تعبر عن نضجها بالتقاء الجيش مع الشعب على البرنامج المرحلي الذي يقرن الديمقراطية بالانجاز ، ويطرح مقومات وضرورات الوحدة الوطنية والتقدم والسلام، في اطار الخيار الديمقراطي، الذي اثبتت الاحداث الاخيرة مجددا، انه خيار الشعب

والجيش معا .

أيها المناضلون

يا أبناء امتنا المجيدة

لقد كان مقدرنا لمعاناة لبنان الطويلة ان تطور فيه وعيا وطنيا وقوميا ،  
يصحح صورة الماضي ، ويشق طريق المستقبل . . الا ان بوادر هذا  
الوعي كانت تصطدم دوما بمخططات معادية مختلفة المصادر . وما تزال  
القوى المتآمرة على النهوض العربي ، وعلى دور لبنان في هذا النهوض :  
الاحتلال الصهيوني ، والتدخل الايراني ، وتسليط نظام حافظ اسد ،  
والتواطؤ الامبريالي ، تعرقل كل محاولة لعودة لبنان الى حالة صحية  
معافاة ، قادرة على اعادة التوازن والانسجام والوحدة للبنان ، ولتأثيره  
الايجابي في حياة الامة العربية .

ان خروج لبنان من ازمته الطويلة الصعبة ، يتوقف ، الى حد كبير ،  
على مبادرات القوى الشعبية الحية من مختلف الاوساط والفئات لايجاد  
صيغة وطنية تحظى بدعم عربي فعال ، كفيلة بمواجهة صريحة وجريئة  
لهذه الازمة ، تنطلق من استيعاب الدروس الماضية ، والحرص على وحدة  
لبنان واستقلاله وعروبوته . فثمة حالة قديمة من الاغتراب الحضاري ،  
كان للغرب الاستعماري ، باع طويل في خلقها وترسيخها ، لا يمكن  
ولايجوز ان تستمر في صورة لبنان المستقبل ، وثمة حالة طارئة جاءت بها  
ظروف المحنة وظروف التراجع العربي ، حاولت ان تمرر مخططات  
ايرانية تعمل على زرع كيان اجنبي ، مضاف للكيان الصهيوني ، بهدف  
اغتصاب اجزاء من هذا القطر العربي ، وللقضاء على دور لبنان وأصالته  
وتقدمية ، لا بد أن تواجه بموقف وطني وقومي موحد .

## الدور الكبير للمفكرين العرب

أيها المناضلون العرب

يا أبناء امتنا الأبية

إذا كان ثمة ميزة يحرص البعث على توضيحها وإبرازها، فهي أنه حاول دوماً أن يتجاوز نفسه. وهذه الميزة ليست غير التعبير عن توحيد البعث مع أفكاره ومبادئه التي تريد منه أن يعبر عن جوهر الأمة، وعن حاجاتها الحقيقية، ومصالحها العليا.

وهذا الحرص يتزايد اليوم، لأن المرحلة التي تدخلها الأمة، تتطلب هذا الموقف كشرط موضوعي للاستجابة إلى ضرورات كل عمل مستقبلي.

ولقد كان للمفكرين والمثقفين العرب في مختلف أرجاء هذا الوطن الواسع، دور كبير في صنع الحالة النهوضية التي تعيشها امتنا، من خلال تراكم مساهماتهم التي تدخل في وعي الأجيال الشابة، وينتقل منها الشيء الكثير إلى وعي الجماهير، وهذا أمر طبيعي، فالنهضة العربية منذ بدايتها، قامت على الفكر بكل مستوياته وتعبيراته. . . قامت على الأدباء والشعراء إلى جانب العلماء والمفكرين. . . وكانت حصيلة ربع القرن الأخير من هذه المساهمات، حصيلة قوية، لأنها انطلقت من جرح الهزيمة والخوف على المكتسبات القومية الثورية من أن تنهار، وتضمحل، وتعصف بها روح الهزيمة واليأس. . . فكانت مساهمات المفكرين والمثقفين على مختلف أنواعهم واقطارهم، فيها عمق النقد والمراجعة، وفيها حرارة الصمود والاعداد لاستئناف المعركة والمسيرة. . . وفي معركة العراق كان دور المفكرين والمبدعين لا يقل عن دور المقاتلين في صنع النصر، كما أن دورهم الآن في معركة الانتفاضة مهم وأساسي.



غير ان هذا يبقى اقل بكثير من المستوى المطلوب لمواجهة الاخطار  
والمؤامرات على الكيان العربي، وعلى قومية الامة، ولاقتحام المرحلة  
التاريخية الجديدة. . لان الاعداء التقليديين للأمة: الامبريالية  
والصهيونية، صاروا يتجنبون العداة السافر والمباشر ضد الامة  
العربية. . فهم يحركون الجيوب الداخلية تحت شتى المسميات .  
فالاخطار من الجدية بحيث تستوجب تعبئة لكل رجال الفكر والثقافة في  
الوطن العربي. . لكل الذين يدركون هذه الاخطار، من اجل مواجهتها  
بعمل جماعي منظم، ينصب في الدرجة الاولى على النواحي الايجابية  
في حركة القومية العربية لتوضيحها وابرار الابعاد الروحية والحضارية  
والانسانية في قومية الامة. وايصال هذه المعاني الى الجماهير الشعبية  
الواسعة لكي تكون، من جهة على بيّنة من الاخطار المهددة لامتها، ومن  
جهة اخرى على بيّنة من مضمون قوميتها وانها كانت دوما تعيش في  
صيغة موحدة مع الاسلام، وفي الوقت نفسه لتكون هذه الجماهير على  
بيّنة من حقيقة اخرى في مضمون قوميتها، هي البعد الحضاري  
الانساني، والايهان بالتقدم والتجدد، ومقاومة دعوات التخلف  
والتعصب والانقسام، واعتبار معركتها الاساسية في هذه المرحلة هي في  
التغلب على عوامل التخلف والتجزئة .

الامر الذي يجب ان نحذره، هو ان تكون الظواهر الايجابية  
الجديدة، مدعاة استرخاء. فهذه الظواهر التي تحققت وشكلت اضافة  
جدية للقوة العربية، اثار في الوقت نفسه مزيدا من العداة والتآمر عند  
اعداء الامة، ومزيدا من الاعداد لامتصاص هذه القوة العربية  
الجديدة، لتصديعها وتفتيتها والتآمر عليها. لذلك علينا ان نجعل شعار  
المرحلة، هو الاستنفار، اكثر من اي وقت مضى. . الاستنفار لقوى  
الامة الحية، والعمل على انضاج تصور موضوعي واستراتيجية عمل

## الحوار الديمقراطي

فالحوار الديمقراطي المنطلق من الايمان بوحدة الامة، المتحرر من الحساسيات، الذي ينبغي ان يتسع وان يتعمق بين البعثيين والناصريين والاسلاميين والماركسيين وسائر القوى الوطنية والقومية، هو المدخل الطبيعي لبلوغ هذا المستوى الجديد، الكفيل وحده، بفتح افاق العمل المستقبلي على انتصارات جديدة للامة .

- تحية لشعب العراق العظيم الذي سجل في تاريخ الامة المعاصر، اروع انتصار وابلغ معاني البطولة والتضحية والفداء، واعلى درجات الوعي الوطني والقومي في الدفاع عن ارض العراق وسيادته وعن المصير العربي كله .

- تحية لجيش العراق، جيش الانتصارات والبطولات الخارقة، الذي توحد مع تراث الامة ونماذجه الخالدة وقيمه النبيلة ومع الاهداف العليا للامة في التحرير والوحدة .

- تحية للجيش الشعبي البطل، الظهير القوي للقوات المسلحة، وللذين شاركوه في القتال من المناضلين العرب، فأكدوا معنى التلاحم القومي في معارك المصير .

- تحية حب للرفيق صدام حسين بطل النصر، ابن البعث الاصيل، وابن العراق البطل، وابن الامة الخالدة، الذي انتزع للعراق وللأمة نصرا خالدا سيكون الحد الفاصل بين زمن الضعف والتراجع، وزمن النهوض واسترداد الحقوق .

- تحية لانتفاضة ابناء فلسطين التي تتحدى قوى الاحتلال الهمجية، وتؤكد تجدد روح النضال والصمود في الشعب والامة، وارادة

التحرير الكامل .

- تحية للرفاق البعثيين ولكل المناضلين العرب في كل مكان من ارض  
العروبة ، وبخاصة اولئك الذين يدفعون ضريبة النضال داخل السجون  
وفي المنافي .

- تحية لشهداء الامة الذين لهم الفضل الاول في تحقيق انتصاراتها  
في العراق وفلسطين وفي كل ساحة نضال متصل باهداف الامة وبارادة  
جماهيرها في الوحدة والنهضة .